

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن أتبع هُداة.

أما بعد.. فهذه فرصة طيبة مباركة في هذه المناسبة مع إخوة لي تربطنا بهم العقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح، نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بهم في بلدِهِم وفي غيره من بلدان الله على وجه هذه البسيطة.

سأتكلّم في هذا الموضوع -وهو موضوع الساعة وما يتعلق بها-، أقول فيها ما يحضّرني من الآيات ومن حديث رسول الله ﷺ، أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

إن الله تبارك وتعالى قد تحدّث عن الساعة وأهوالها وكذلك رسول الله ﷺ ليتعظّ النَّاسُ، وليخافوا الله تبارك وتعالى، وليستعدوا للقائه بالإيمان الصادق والأعمال الصالحة وبذل النفس والنفس في سبيل الله تبارك وتعالى وفي طاعته وفي طلب مرضاته، ومن وفقه الله تبارك وتعالى يُعدّ العُدّة لذلك اللقاء العظيم وما يتبعه من حسابٍ وجزاءٍ، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا وإياكم من هذا الصنف الطيّب.

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿آتَهُ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١]، تحدّث عن قيام الساعة بهذه الصيغة -صيغة الماضي- لتحقيق وقوعها من جهة، ولقربها من جهة أخرى فإن كل آت قريب.

وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [١] ما يأتيهم من ذكرٍ من ربّهم تحدّث إلا استمعوه وهم يلعبون [٢] لاهية قلوبهم [الأنبياء]، هذا حال النَّاسِ أمام هذا الحدث الخطير وهذا الحدث العظيم، وما يتبعه من حسابٍ وجزاءٍ، وما سيلاقيه النَّاسُ من أهوالٍ في ذلك اليوم العصيب وذلك اليوم العظيم.

فلا تليقُ بهم الغفلة، ولا يليقُ بهم التلهي، ولا يليقُ بهم الإعراض؛ بل عليهم الاستعداد والتأهب لهذا اللقاء الرّهيب. وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [١] وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ [٢] وَكَذَّبُوا وَابْتَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ [٣] وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ [٤] [القمر]، والله عز وجل يتحدّث عن هذا اليوم، ليستعدّ النَّاسُ لهذا اللقاء العظيم، لينصرفوا عما هم فيه من غفلة، وليقفوا عند حدّهم فلا يتبعوا أهواءهم، وإنما ينصاعوا لأمر الله تبارك وتعالى، ويصدقوا رُسُلَهُ، ويصدقوا بوعدِهِ ويتأهبوا لذلك اللقاء؛ لكن مع الأسف هذا حال النَّاسِ في السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ السَّعَادَةُ.

وبمناسبة تلاوة هذه الآيات أنصح نفسي وأنصح السامعين بأن يُرجفوا أسعاهم لمثل هذا الوعيد الذي ترتجف له القلوب، وتضطرب له النفوس، فأوصيهم بتقوى الله ومراقبته والاستعداد لهذا اللقاء بالإيمان الصادق والتوحيد الخالص واتباع رسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله وتوجيهاته، والحذر كل الحذر ممّا حذر منه رسول الله ﷺ، لنكون من السعداء في ذلك اليوم العظيم الذي يجب أن يستعدّ له كل مؤمن.

وقد حدّثنا الله تبارك وتعالى عن أشرار الساعة فقال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، يعني: علاماتها، ومن علامتها بعثة هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فإنه قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وقرن بين السَّابِقَةِ وَالْوَسْطَى صلوات الله وسلامه عليه [البخاري: ٤٩٣٦، مسلم: ٢٩٥٠]. وقال تبارك وتعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [١] لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ [٢] مِنْكَ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ [٣] تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [٤] فَاصْبِرْ صَبْرًا جَدِيدًا [٥] إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا [٦] وَرَبُّهُ قَرِيبٌ [٧] [المعارج]، فالله يراه قريباً، ويرى أن الموعد قد دنا، وأن الأمر عليه في غاية السهولة، فلا يجوز لمسلم أو لإنسان أن يتلکأ

بالإيمان بقدرة الله تبارك وتعالى والتّصديق بوعدِهِ والاستعداد للقائه.

ولقد حدّثنا رسول الله ﷺ عن أمور تقع بين يدي الساعة وتعدّد أشرار الساعة، وذكر منها الأشرار الكبّرى والأشرار الصّغرى، والمراد بالأشرار العلامات، علامات هذه الساعة وقيامها.

قال حُضَيْرُ بْنُ أُسَيْدٍ الْغِفَارِيُّ: «كُنَّا نَتَذَكَّرُ فَأَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَذْكُرُونَ؟ أَوْ مَا تَذْكُرُونَ؟» قالوا: نذكّر الساعة، قال: «إِنَّهُ لَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يَسْقِيَهَا عَشْرٌ» أو كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثم عدّها، فعَدَّ منها الدُّخَانُ، وعدَّ منها الدَّجَالُ، والدَّابَّةُ، وطلوع الشمس من مغربها، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن، وفي رواية: «من قعر عدن تسوق النَّاسَ إلى محشرهم»، فأخبر رسول الله الصادق المصدوق أنّ الساعة لا تقوم حتى تحيى هذه الآيات وتظهر، ومنها أيضاً الآية العاشرة وهو خروجُ يأجوج ومأجوج. [مسلم: ٢٩٠١].

هذه عشرة أحداثٍ من علامات الساعة، لا تقوم الساعة حتى تظهر، وهي:

الدُّخَانُ، ويأتي هذا بين يدي الساعة فيأخذ بأنفاس النَّاسِ. **وَالدَّجَالُ**، وتحدّث رسول الله ﷺ عن هذا الدَّجَالِ في أحاديث كثيرة، تبلغ درجة التواتر، كحديث الشَّهيد الذي نستعيد به من فتنة الدَّجَالِ في كل صلاة من صلواتنا سواء منها المكتوبات أو التَّنْفُلِ، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» [البخاري: ٨٣٢، مسلم: ٥٨٩].

ومن أراد الله له السَّعادة عرّفه هذا الدَّجال، وكفر به، ومن أراد له الضَّلال ضلَّ بسبب ما يفتدّمه من مخرّصات وسحر وشعوذة.

كذلك **الدَّابَّةُ**، تَحَدَّثَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا كَمَا فِي سُورَةِ النَّمل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٨٢).

وتَحَدَّثَ اللهُ عَنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، المرادُ بهذا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا كَمَا يَبَيِّنُ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ حينئذٍ يُعْلَقُ بَابُ التَّوْبَةِ فَلَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ إِيمَانٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَدْ آمَنَ أَوْ عَمِلَ خَيْرًا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

فكذلك تَحَدَّثَ عَنْ خُرُوجِ **يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ** وَأَنَّهُمْ يَأْتُونَ بَعْدَ نَزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَتْلِهِ لِلدَّجَالِ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُهْلِكُهُمْ بِدَعْوَةِ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهَمَّ كَمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (١٦) [الأنبياء]، وكَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَيْلٌ لِلْعَرَبِ، وَبَلٌّ لِلْعَرَبِ، مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، إِنَّهُ قَدْ فَتَحَ مِنْ رَدَمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ**» وَحَلَّقَ بِإِهَامِهِ وَالتِي تَلِيهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

[البخاري: ٣٣٤٦، مسلم: ٢٨٨٠]

فهذه الأمورُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الَّتِي تَحَدَّثَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهِيَ كَائِنَةٌ كَمَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهِيَ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ هَذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَمَا تَحَدَّثَ عَنْهُ مِمَّا كَانَ مِمَّا سَبَقَ عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمْمِهِمْ، وَتَحَدَّثَ عَنْ مَصَارِعِهِمْ، وَتَحَدَّثَ عَنِ الْفِتَنِ الَّتِي وَقَعَتْ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ كَالْفِتَنِ الَّتِي حَدَّثَتْ فِيهَا سَبَقٌ؛ يَعْنِي: مَا حَصَلَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ مِنْ أَنَّهُ سَيَقْتُلُ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ دَعَاؤُهُمَا وَاحِدَةً،

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ سَيَصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**» [البخاري: ٢٧٠٤].

وَتَحَدَّثَ عَنْ خُرُوجِ **نَارٍ فِي الْحِجَازِ**، وَقَدْ خَرَجْتَ فَعَلًا قَالَ: «**تَخْرُجُ نَارٌ بِالْحِجَازِ تَضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبَصَرِي**» [البخاري: ٧١١٨، مسلم: ٢٩٠٢] وَحَصَلَتْ كَمَا قَالَ، كَمَا تَحَدَّثَ بِذَلِكَ الْمُؤَرِّخُونَ وَمِنْهُمْ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأُظُنُّ ذَلِكَ فِي حُدُودِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ أَوِ السَّادِسِ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فِي ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ خَرَجَتْ، وَأَثَارُهَا لَا تَزَالُ بَاقِيَةً فِي الْمَدِينَةِ وَأَنَا مِمَّنْ شَاهَدَ هَذِهِ الْأَثَارَ.

وَكُلُّ مَا تَحَدَّثَ عَنْهُ فِيهَا سَبَقٌ وَكُلُّ مَا تَحَدَّثَ عَنْهُ فِيهَا سِيَّاتِي، فَذَلِكَ مِنْ عِلَامَاتِ نُبُوَّتِهِ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حَقًّا. فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْدُقُوا بِهَا أَخْبَرَ بِهِ هَذَا الرَّسُولُ مِمَّا مَضَى وَمِمَّا سِيَّاتِي وَقَدْ أَثْنَى اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ الْمُتَّقِينَ، بِأَنَّهُمْ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٢) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ [البقرة].

نَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يُؤْمِنُونَ بِأَخْبَارِ هَذَا الرَّسُولِ، وَيُسْتَعِدُّ لِلِقَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِي ضَوْءِ أَخْبَارِ الْقُرْآنِ عَنْ مُسْتَقْبَلِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ حَشَرٍ وَنَشْرِ وَبَعْثٍ وَجَزَاءٍ وَجَنَّةٍ وَنَارٍ وَخُلُودٍ فِي الْجَنَّةِ وَخُلُودٍ فِي النَّارِ لِلْكَفَّارِ وَمِنْ عَذَابٍ وَمِنْ شَفَاعَةٍ وَمِنْ حَوْضٍ وَمِنْ آخِرَةٍ.. إِلَى آخِرِ الْأَخْبَارِ الَّتِي تَحَدَّثَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَنَكُنْ عَلَى عِلْمٍ وَعَلَى بَصِيرَةٍ وَعَلَى تَمَامِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلِقَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِطَاعَةِ رَسُولِهِ وَبِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِتَصَدِيقِ أَخْبَارِهِ، نَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِهَذَا الرَّسُولِ وَيَصَدِّقُ بِأَخْبَارِهِ وَيَتَّبِعُ أَمْرَهُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.



أَشْرَاطُ قِيَامِ السَّاعَةِ

كلمة

لفضيلة الشيخ

ربيع بن هادي المدخلي

حفظه الله تعالى

النسخة الإلكترونية الثالثة



الشيخ لم يراجع التفريغ

